جامعة البليدة 2

الطلبة الجزائريون من وباء الاستعمار في 19 ماي 1956 إلى وباء كورونا في 19 ماي 2020 الظروف مختلفة والرسالة واحدة

إعداد الاستاذ : بركوكي ميلود

دُلّني إن استطعتَ بالعَيان أو الخَبَرِ فيمن بقي أو فيمن غَبَر على شعب غير الشعب الجزائري حلّ به وباءٌ مثل وباء الاستعمار الفرنسي ، هذا الاستعمار الكافر ، الفاجر ، الأهوج ، ألح على هذا الشعب بالقهر والفقر والعذاب والخراب ، أفسد التعليم ونسخ اللغة ومسخ العقيدة ، وهذا طوال مائة عام ونيف ، وصف العلامة " البشير الابراهيمي " حالهم في 1954 بما يلي : " لم تبقِ لكم فرنسا – أيها الجزائريون– ما تخافون عليه ، لم تبق لكم خيطا من الأمل تتعللون به ، أتخافون على أعراضكم فقد انتهكتها ؟ أم تخافون على الحرمة فقد استباحتها ؟ لقد تركتكم فقراء تلتمسون قوت اليوم فلا تجدونه ، أم تخافون على الأرض وخيراتها ؟ لقد أصبحتم فيها حفاة عراة جياعا تأوون إلى الغيران كالحشرات والزواحف ، أم تخافون على الدّين ويا ويلكم من الدّين الذي لم تجاهدوا في سبيله ؟ !! "

وبالرغم من أهوال وباء الاستعمار فقد تجد في راس كل جزائري نخوة العروبة ، وفي نفسه حميّة الإسلام ، وفي يده سيف الفتوح ، فما أن حل يوم 01 نوفمبر من عام 1954 حتى فجر الشعب الجزائري ثورة تعد من أعظم الثورات التي عرفها تاريخ الإنسانية ، هذه الثورة الشعبية وقفت في وجه وباء الاستعمار الفرنسي وصمدت رغم قلة العدة والعدد ، وبعد عامين من حرب حامية الوطيس ارتأى قادة الثورة بحكمتهم توجيه نداء إلى طلبة العلم لحمل المشعل وقيادة الثورة إلى بر الأمان ، فكان نداء جبهة التحرير الوطني في 19 ماي 1956 إلى الطلبة الجزائريين هذا مقتطف منه : " ...أيها الطلاب والمثقفون الجزائريون ، هل يليق بنا أن يعتبرنا العالم الذي يلاحظ تحركاتنا والأمة التي تنادي علينا لنشاركها أحزانها وبطولاتها خونة لقضيتنا ...." فكان هذا النداء التاريخي كافيا لإعلان كل الطلبة الجزائريين في الثانويات والجامعات إضرابا عاما عن

الدراسة ، وصعد الكثير منهم إلى الجبال والتحقوا بالثورة ، ورغم ما حل بالطلبة المضربين من قمع وتعذيب وسجن من طرف الشرطة الفرنسية إلا أن ذلك لم يثن من عزيمتهم ، بل إن الطلبة الذين التحقوا بالثورة تعرضوا لأبشع مؤامرة وهي مؤامرة " **لابلويت** (**La Bleuite**) ، و لم يغير ذلك من قناعاتهم قيد انملة ،هؤلاء الطلبة قادوا الثورة التحريرية وأوصلوها إلى بر الأمان في 05 جويلية 1962 ، ومنذ ذلك التاريخ وإلى يومنا هذا مرت علينا نحو ستة عقود من الزمن ، وفي كل سنة يحتفل الطلبة الجزائريون بهذه الذكرى العزيزة في جو من النشاط والبهجة ، لكن في هذا العام في 19 ماي 2020 سيحتفل الطلبة عن غير العادة بهذه الذكرى في بيوتهم بدل الجامعة وفضائها الواسع ، وهذا بسبب وباء كورونا (كوفيد-19) الذي فرض حجرا صحيا ليس على الطلبة في الجزائر فحسب ولكن في العالم بأسره .

والسؤال الذي نطرحه هو : ما أوجه التشابه والاختلاف بين الوباءين ؟ وما علاقة الطلبة بهما ؟

الجواب هو أن كلا الوباءين قاتلان وإنما الاختلاف يكمن في ان الاول (وباء الاستعمار) من صنع البشر (الفرنسيين) أما الثاني (وباء كورونا) فهو فيروس مجهري لا يرى بالعين المجردة . وإذا كان دور الطلبة الجزائريين كبيرا في القضاء على الوباء البشري (الفرنسي) عندما لبى نداء الثورة في 19 ماي 1956 فأحرز الانتصار في 19 مارس 1962 فإن دوره في مكافحة وباء كورونا قد غيب تماما ، فلو أن السلطات أصدرت نداء إلى الطلبة الجامعيين للقيام بحملات تطوعية في كامل البلاد وأطرتهم وزودتهم بوسائل الوقاية وكلفتهم بتوعية الناس ومساعدتهم على تخطي خطر هذا الوباء عن طريق تدعيمهم بأعوان الامن وجندت وسائل الإعلام لدعم هذا المسعى أقولها وبدون مبالغة : سيلبي الطلبة الذين يفوق عددهم المليون هذا النداء اقتداء بأسلافهم (طلبة الثورة التحريرية) وسينتصرون على هذا الوباء في وقت وجيز ، وستمكننا هذه المعركة من إعادة الحياة إلى مجراها الطبيعي بدل من الوضعية الحالية التي نعيشها والتي أدت إلى توقف كل مجالات الحياة من قطع أرزاق الناس وارتفاع منحنى عدد الوفيا ت والمصابين ، كما هي فرصة تاريخية لتمكين إنسان النصف من أن يكون إنسانا مثلما كان ينشده المفكر الجزائري

مالك بن نبي بقوله : " إنسان النصف هو الإنسان الشديد الإلحاح بطلب حقوقه ولكنه لا يقوم بواجباته ، يذهب إلى المدرسة ليقضي الساعات فقط وهمه الأكبر الحصول على تلخيص الأستاذ أو المادة المطلوبة للامتحان دون أن يكون هدفه التعلم ؟ يذهب للعمل ويقضي ساعته بأي طريقة المهم في النهاية ينقضي الوقت ويعود لحياته ، لا يدرس كطالب ولا يعمل كموظف ولا يبدع في معمل ولا يبتكر في مخبر ولا ينجز في مشروع ؟ هو باستمرار إنسان النصف يطالب بحقوقه ولا يقوم بواجباته "

والحق يقال : أن الإنسان النصف الذي تكلم عنه هذا المفكر العظيم الذي سبق زمانه واستفادت منه أمم أخرى وحققت به النهضة لبلدانها تفطن إلى أن الاستثمار في الانسان خاصة الإنسان المتعلم يحقق شروط النهضة ، أما نحن غيبنا الإنسان وغيبنا طالب العلم في كل شيء : في مناهج التدريس ، في الاستشراف للمستقبل وفي الابداع والمبادرة . والغريب أن هذا الأمر تجنبه اسلافنا أيام الاستعمار لأن نداء جبهة التحرير الوطني كان يصب في هذا التفكير الذي تكلم عنه مالك بن نبي .

في الأخير ثقتنا كبيرة في قدرة الله عز وجل في أن يرفع عنا الوباءين : وباء المؤامرات والمكائد ودسائس الاستعمار القديم ووباء كورونا ، ونتمنى من ولاة أمورنا أن يأخذوا العبرة من هذا الوباء فيهتمون بالعلم وطلبة العلم والمدرسين فبهم جميعا نستطيع إن آجلا أو عاجلا أن نقضي على كل من يتهددنا .

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

تحيا الجزائر